البحث الخامس

الآثار الحضارية والعلمية

في عصر نور الدين زنكي: دراسة وتحليل

أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي

Civilizational and Scientific Archeology in the Era of Nur Al-Din Zangi: Study and Analysis

Prof. Abdul Rahman Ibrahim Hamad Al-Ghantousi, PHD
Iraqi University - College of Education

Abstract:

The era of Nur al-Din Zangi witnessed great scientific and civilized developments, and rapid leaps in all fields of science, and as the effects of the developments of some sciences began to be reflected on others, so schools of jurisprudence appeared in his time and he established the Adiliyah School, and other cultural effects. These civilizational developments in the era of the scientific

renaissance at the time to identify them, and study them closely, and we chose to study an important aspect of the Nouri state, our study is limited to two things: the presence of signs of the civilizational renaissance in the era of Noureddine Zangi, and the presence of the just prince and his relationship with the subjects, and they are Two things are intertwined in the search, one of which can only be done by the other.

Keywords: Nur al-Din Zangi, Civilization, Scientific.

الآثار الحضارية والعلمية في عصر نور الدين زنكي: دراسة وتحليل

الاستاذ الدكتور عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية-كلية التربية

المقدمة:

الحمد لله وبه نستعين، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأُمّيّ الأمين الذي يؤمن بالله وكلماته، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ وسار على نهجهم الى يوم الدين، أما بعد:

فإن من المهم في كل فن أن يتعلم المرء منه ما يكون عوناً له على فهمه وتحليله على أصوله؛ ليكون علمه مبنياً على أسس قوية ودعائم راسخةً، وإن دراستنا هذه تتطلب الوقوف عند اللبنات الأولى من حياة الأمير العادل نور الدين زنكي كي نمضي بعدئذٍ إلى دراسة النهضة الحضارية برمتها، فهي جلّية مؤثرة.

لقد شهد عهد نور الدين زنكي تطورات علمية وحضارية كبيرة، وقفزات سريعة في مجالات العلوم كافة، وإذ أخذت تنعكس آثار تطورات بعض العلوم على بعض، فظهرت المدارس

الفقهية في عصره وأنشأ المدرسة العادلية، وغير ذلك من الآثار الحضارية، ويأتي بحثنا هذا محاولة منّا للولوج في هذه التطورات الحضارية في عصر النهضة العلمية آنذاك للتعرّف عليها، ودراستها دراسة فاحصة، وقد اخترنا أن ندرس جانباً مهما من جوانب الدولة النورية.

واقتضت طبيعة الدراسة ان نقسمها الى مقدمة وثلاثة مباحث بإشارات سريعة وخاتمة، جاء المبحث الأول عن سيرة نور الدين الزنكي ومآثره، في حين تعرضنا في المبحث الثاني الى بعض الأثار الحضارية في عهد نور الدين زنكي، والوقوف عند بعض المدارس والمساجد والبيمارستانات التي تم انشاؤها في والبيمارستان ذلك العهد، أما المبحث الثالث والأخير فقد كرسناه للحديث عن الحركة الفكرية في عهد نور الدين زنكي، وقدمنا عرض عن بعض المدارس التي اخذت على عاتقها مهمة التعليم وأهم المكتبات التي ذاع صيتها آنذاك، وعلى الرغم من صغر حجم البحث إلا أنه استطاع أن يمدَّنا بالوسائل المعرفية الموجودة في عهد نور الدين، وقد قمنا بتناولها، مُبَيِنين أوصافها ودورها في ترابط النهضة العلمية، وجعلنا للبحث خاتمة ذكرنا فيها أهمَّ مراحل البحث وأبرز ما تناولناه فيه، والنتائج التي توصلنا إليها.

ولكن الركيزة التي تقوم عليها دراستنا هذه محددة بأمرين هما: وجود إشارات النهضة الحضارية في عصر نور الدين زنكي، ووجود الأمير العادل وعلاقته مع الرعية، وهما أمران مترابطان في البحث لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

المبحث الأول

سيرة نور الدين زنكي ومآثره

هو أبو القاسم نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي(٥١١-٥٦٩ هـ/ ١١١٨-١١٧٤م) ابن اق سنقر الملقب بالملك العادل، وناصر امير المؤمنين، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلّهم وأفضلهم، كان من المماليك (جده من موالي السلجوقيين)، ولد في حلب وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١هـ) وكان ملحقا بالسلاجقة، فاستقل، وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة، وامتدت سلطته في الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسماً من سورية الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانباً من اليمن، وخطب له بالحرمين.

كان معتنياً بمصالح رعيته، مداوماً للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقاً في حروبه مع الصليبيين، أيام زحفهم على بلاد الشام، وأسقط ما كان يؤخذ من المكوس، وأقطع عرب البادية إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج، وهو الّذي حصّن قلاع الشام وبنى الأسوار على مدنها، كدمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبكّ وحلب، وبنى مدارس كثيرة منها (العادلية) أتمها بعده العادل أخو صلاح الدين، و (دار الحديث) كلتاهما في دمشق، وهو أول من بنى داراً للحديث، وبنى الجامع (النوري) بالموصل، والخانات في الطريق، والخوانق للصوفية (الزركلي. ١٩٧٦.ج ٧. ص١٧٠).

كان متواضعاً مهيباً وقوراً، مكرماً للعلماء ينهض للقائهم ويؤنسهم ولا يرد لهم قولاً، عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ولا تعصب عنده، وسمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع منه جماعة، وكان يجلس في كل أسبوع أربعة أيام يحضر الفقهاء عنده ويأمر بإزالة الحجاب حتى يصل إليه من يشاء، ويسأل الفقهاء عما يشكل عليه، واوقف كتباً كثيرة , وكان يتمنى أن يموت شهيداً، فمات بعلة (الخوانيق) في قلعة دمشق، فقيل له (الشهيد) وقبره في المدرسة (النورية) وكان قد بناها للأحناف بدمشق، ولمحمد بن أبي بكر ابن قاضي شهبة كتاب الدر الثمين في سيرته، ولأبي شامة كتاب الروضتين في أخبار الدولتين في سيرته وسيرة السلطان صلاح الدين ودولتيهما(المقدسي.١٩٥٦.ج١. ص ص٢٢٩،٢٢٧؛ ابن الاثير. ١٩٩٧. ج١١. ص١٥١)، وأنه دفن في مدرسته (العادلية)، ونبهني الأستاذ محمَّد كُرْد عَلي إلى أن (العادل) المدفون في المدرسة العادلية، هو أخو السلطان صلاح الدين، أما العادل نور الدين، صاحب الترجمة، فدفن في مدرسته النورية، بالخياطين بدمشق (الصفدي.١٩٥٥. ص١٤٧؛ الزغبي. ٢٠١٠. ص ٣٢٢).

قال (ابن الأثير) في « الشهيد» (نور الدين زنكي)» ((قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين))(ابن الاثير، ١٩٩٧،ج١١، ص ١٥٢)، هو ريحانة بلاد الشام، وأستاذ صلاح الدين الأيوبي، سماه بعض المؤرخين ((سادس الخلفاء الراشدين)) لعدله ودينه وحسن سياسته، هذا الرجل الذي لا يعرفه كثير منّا هو الصانع الحقيقي لنصر حطين، إننا نتحدث عن نورٍ أضاء اللَّه به الدين في أشد أوقات الأمة عتمة وسوادًا، إننا نتحدث عن نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي، المشهور باسم ((نور الدين الشهيد))(ابن خلكان.١٩٩٤. ج٢. ص٨٧؛ ابن واصل.١٩٥٧. ج١. ص١٠٩).

وقد أبحر العلماء في سيرة هذا البطل العطرة، ومنهم من جعله برتبة عمر بن العزيز ((سادس الخلفاء الراشدين)) وليس هذا انتقاصًا من قدر هذا القائد العظيم الذي قدّم للإسلام الشيء الكثير، ومع إيماننا اليقين أن كليهما من أعظم ما أنجبت أمة الإسلام، وأمير المؤمنين الإمام الحسن ابن علي - رضي اللَّه عنهما- كان خامس الخلفاء الراشدين بدليل حديث رسول اللَّه الذي نص فيه بأن الخلافة بعده ثلاثين عاماً ولا يزال قبره قائماً في المدرسة النورية التي نسبت إليه، يبجله النَّاس ويحترمونه (دائرة المعارف الاسلامية. د.ت. ج١٦. ص٤٩٣٣).

توفي نور الدين سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م، فوقع جلّ مملكته، بما فيه دمشق، في يد صلاح الدين بن أيوب، وكان صلاح الدين قد استقل بأمر مصر بالفعل، وقد أكسبت انتصاراته دمشق عزاً لم تحلم به من قبل، والحق أن النشاط الذي بدأه نور الدين في إقامة العمائر لم يخمد؛ إلا أن الحروب المتصلة التي خاض غمارها صلاح الدين لم تترك له فسحة يوجه همّه فيها إلى توطيد دعائم السلام. ومن الرؤيا الظاهرة العظيمة في حياته، ما ذكر عن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر أنه رأى رسول الله - صلّى الله عليه وسلم -

في المنام يستنجده على رجلين أرادا إخراجه من قبره. وقد ذكر القصة في هذه الرؤيا نور الدين علي بن أحمد السمهودي في كتابه ((الوفا بأخبار دار المصطفى)) وذكر أن ذلك كان في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وهذا نص ما ذكره خاتمة: فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد الخندق حول الحجرة الشريفة مملوءًا بالرصاص، وذكر السبب في ذلك وما ناسبه.

اعلم أني وقفت على رسالة قد صنّفها العلاّمة جمال الدين الأسنوي في المنع من استعمال الولاة للنصارى، وسماها بعضهم بـ ((الانتصارات الإسلامية)) ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغي ما صورته ((نصيحة أولي الألباب، في منع استخدام النصارى كتّاب)) لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوي، ولم يسمه فسميته بحضرته فأقرني عليه، انتهى. فرأيته ذكر فيها ما لفظه: وقد دعتهم أنفسهم - يعني النصارى - في سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتم لهم، {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢]. وذلك أن السلطان المذكور كان له تهجد يأتي به بالليل وأوراد يأتي بها، فنام عقب تهجده فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين (التويجري. ١٤١٢هـ. ص١٠٠).

ويقول: أنجدني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعًا ثم توضّأ وصلّى ونام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلّى ونام فرآه أيضًا مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له: وما قعودك، اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفرًا وصحبته الوزير المذكور ومالٌ كثير فقدم المدينة في ستة عشر يومًا فاغتسل خارجها ودخل فصلى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع، فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا مَنْ عندكم فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي - صلى الله عليه وسلم - له فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف إلى أن انقضى الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئًا من الصدقة، قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئًا وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره وقال: عليّ بهما؛ فأتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهما بقوله ((أنجدني أنقذني من هذين))، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب جئنا حاجّين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أصدقاني، فصمما على ذلك، فقال: أين منزلهما فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى فيه مالاً كثيرًا وختمتين وكتبًا في الرقائق ولم ير فيه شيئًا غير ذلك فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات

في الروضة الشريفة وزيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت ولا يردان سائلاً قط بحيث سدّا خلة أهل المدينة في هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله، ولم يظهر شيئًا مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه فرفع حصيرًا في البيت فرأى سردابًا محفورًا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك: أصدقاني حالكما، وضربهما ضربًا شديدًا فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة وأموالهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم وتوهموا أن يمكنهم الله منه وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زينه لهم إبليس في النقل وما يترتب عليه فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة وفعلا ما تقدم وصارا يحفران ليلاً ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور وأقاما على ذلك مدة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم بحيث خيّل انقلاع تلك الجبال فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة واتفق إمساكهما واعترافهما فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره بكى بكاءً شديدًا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقًا عظيمًا إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص وملأ به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة سورًا رصاصًا إلى الماء، ثم عاد إلى ملكه وأمر بإضعاف النصارى وأمر أن لا يستعمل كافر في عمل من الأعمال وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها. انتهى.

وقد أشار إلى ذلك الجمال المطري باختصار ولم يذكر عمل الخندق حول الحجرة وسبك الرصاص به، لكن بين السنة التي وقع فيها ذلك مع مخالفة لبعض ما تقدم فقال في الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم: وصل السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه عَلَم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان محمودًا المذكور رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول في كل واحدة: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين الأشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر حدث في مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم - (التويجري. ١٤١٢هـ. ص١٠١)، وكذلك زوجة الملك الصالح نور الدين محمود بن زنكي: عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدولة: كانت - رحمها الله- كثيرة التهجد، وأحسن النساء في عصرها (المقدم. ٢٠٠٦.ج٢. ص٦٢٦) ومدنها، كدمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبكّ وحلب، وبنى مدارس كثيرة منها(العادلية) أتمها بعده العادل (الزركلي. ١٩٦٩. ج٧. ص١٧٠)، أخو صلاح الدين، و (دار الحديث) كلتاهما في دمشق، وهو أول من بنى دارا للحديث،

وبنى الجامع (النوري) بالموصل، والخانات في الطريق، والخوانق للصوفية، وكان متواضعا مهيباً وقوراً، مكرماً للعلماء ينهض للقائهم ويؤنسهم ولا يرد لهم قولاً، عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، ولا تعصب عنده، وسمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع منه جماعة، وكان يجلس في كل أسبوع أربعة أيام يحضر الفقهاء عنده ويأمر بإزالة الحجاب حتى يصل إليه من يشاء، ويسأل الفقهاء عما يشكل عليه، ووقف كتباً كثيرة , وكان يتمنى أن يموت شهيداً، فمات بعلة (الخوانيق) في قلعة دمشق، فقيل له (الشهيد) وقبره في المدرسة (النورية) وكان قد بناها للأحناف بدمشق. ولمحمد بن أبي بكر ابن قاضي شهبة كتاب الدر الثمين في سيرته، ولأبي شامة كتاب الروضتين في أخبار الدولتين في سيرته وسيرة السلطان صلاح الدين، ودولتيهما (ابن الاثير.١٩٩٧. ج١١. ص١٥١؛ ابن خلدون. ١٩٧١. ج٥. ص٢٥٣)، وأنه دفن في مدرسته (العادلية) ونبهني الأستاذ محمَّد كُرْد عَلي إلى أن (العادل) المدفون في المدرسة العادلية، هو أخو السلطان صلاح الدين، أما العادل نور الدين، صاحب الترجمة، فدفن في مدرسته النورية بالخياطين، في دمشق (الصفدي. ١٩٥٥. ص١٤٧؛ الزغبي. ٢٠١٠. ص ٣٢٢).

قال (ابن الأثير) في « الشهيد» (نور الدين زنكي) ((قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين)) هو ريحانة بلاد الشام، وأستاذ صلاح الدين الأيوبي، سماه بعض المؤرخين ((سادس الخلفاء الراشدين)) لعدله ودينه وحسن سياسته، هذا الرجل الذي لا يعرفه كثير منّا هو الصانع الحقيقي لنصر حطين، إننا نتحدث عن نورٍ أضاء اللَّه به الدين في أشد أوقات الأمة عتمة وسوادًا، إننا نتحدث عن نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي، المشهور باسم «نور الدين الشهيد(ابن خلكان.١٩٩٤.ج٢. ص٨٧؛ ابن تغري بردى. د. ت. ج٦. ص٧١).

وقد أبحر العلماء في سيرة هذا البطل العطرة، ومنهم من جعله برتبة عمر بن العزيز ((سادس الخلفاء الراشدين))، مع إيماني اليقين أن كليهما من أعظم ما أنجبت أمة الإسلام، وأمير المؤمنين الإمام الحسن بن علي - رضي اللَّه عنهما- كان خامس الخلفاء الراشدين بدليل حديث رسول اللَّه الذي نص فيه بأن الخلافة بعده ثلاثين عامًا (دائرة المعارف الاسلامية. د.ت. ج١٦. ص٤٩٣٣)، ولا يزال قبره قائمًا في المدرسة النورية التي نسبت إليه، يبجله النَّاس ويحترمونه.

توفي نور الدين سنة (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) فوقع جل مملكته، بما فيها دمشق، في يد صلاح الدين بن أيوب، وكان صلاح الدين قد استقل بأمر مصر بالفعل، وقد أكسبت انتصاراته دمشق عزا لم تحلم به من قبل. والحق أن النشاط الذي بدأه نور الدين في إقامة العمائر لم يخمد؛ إلا أن الحروب المتصلة التي خاض غمارها صلاح الدين لم تترك له فسحة يوجه همه فيها إلى توطيد دعائم السلام. ومن الرؤيا الظاهرة العظيمة في حياته، ما ذكر عن الملك العادل

نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام يستنجده على رجلين أرادا إخراجه من قبره. وقد ذكر القصة في هذه الرؤيا نور الدين علي بن أحمد السمهودي في كتابه «الوفا بأخبار دار المصطفى» وذكر أن ذلك كان في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وهذا نص ما ذكره خاتمة: فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد الخندق حول الحجرة الشريفة مملوءً بالرصاص، وذكر السبب في ذلك وما ناسبه.

اعلم أني وقفت على رسالة قد صنّفها العلّامة جمال الدين الآسنوي في المنع من استعمال الولاة للنصارى، وسماها بعضهم بـ «الانتصارات الإسلامية» ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغي ما صورته «نصيحة أولي الألباب، في منع استخدام النصارى كتّاب» لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوي، ولم يسمه فسميته بحضرته فأقرني عليه، انتهى. فرأيته ذكر فيها ما لفظه: وقد دعتهم أنفسهم - يعني النصارى - في سلطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنوا أنه يتم لهم، {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢]. وذلك أن السلطان المذكور كان له تهجد يأتي به بالليل وأوراد يأتي بها، فنام عقب تهجده فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين (التويجري. ١٤١٢هـ. ص١٠٠)

ويقول: أنجدني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعًا ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضًا مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له: وما قعودك، اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفرًا وصحبته الوزير المذكور ومالٌ كثير فقدم المدينة في ستة عشر يومًا فاغتسل خارجها ودخل فصلى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع. فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا مَنْ عندكم فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي - صلى الله عليه وسلم - له فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف إلى أن انقضى الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئًا من الصدقة، قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئًا وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره وقال: عليّ بهما؛ فأتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهما بقوله ((أنجدني أنقذني من هذين))، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب جئنا حاجين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أصدقاني، فصمما على ذلك، فقال: أين منزلهما فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى فيه مالاً كثيرًا وختمتين وكتبًا في الرقائق ولم ير

فيه شيئًا غير ذلك فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت ولا يردان سائلاً قط بحيث سدَّا خلة أهل المدينة في هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله، ولم يظهر شيئًا مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه فرفع حصيرًا في البيت فرأى سردابًا محفورًا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك، وقال السلطان عند ذلك: أصدقاني حالكما، وضربهما ضربًا شديدًا فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة وأموالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم وتوهموا أن يمكنهم الله منه وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زينه لهم إبليس في النقل وما يترتب عليه فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة وفعلا ما تقدم وصارا يحفران ليلاً ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور وأقاما على ذلك مدة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم بحيث خيّل انقلاع تلك الجبال فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة واتفق إمساكهما واعترافهما فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره بكى بكاءً شديدًا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقًا عظيمًا إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص وملأ به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة سورًا رصاصًا إلى الماء، ثم عاد إلى ملكه وأمر بإضعاف النصارى وأمر أن لا يستعمل كافر في عمل من الأعمال وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها. انتهى.

وقد أشار إلى ذلك الجمال المطري باختصار ولم يذكر عمل الخندق حول الحجرة وسبك الرصاص به. لكن بين السنة التي وقع فيها ذلك مع مخالفة لبعض ما تقدم فقال في الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم: وصل السلطان نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر في سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرها بعض الناس وسمعتها من الفقيه عَلَم الدين يعقوب بن أبي بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر من أدرك أن السلطان محمودًا المذكور رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول في كل واحدة: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين الأشقرين تجاهه فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك، فقال له: هذا أمر حدث في مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم - (التويجري. ١٤١٢هـ. ص١٠١).

وكذلك زوجة الملك الصالح نور الدين محمود بن زنكي: عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدولة، كانت - رحمها الله- كثيرة التهجد، وأحسن النساء في عصرها (المقدم .٢٠٠٦. ص٦٢٦).

المبحث الثاني

بعض الأثار الحضارية في عهد نور الدين زنكي

لقد وقفت المصادر التاريخية عند الاثار الحضارية التي سادت عصر او عهد الملك العادل نور الدين زنكي، ومن هذه الآثار أنشاء دار العدل في الشام , وكان السبب في إنشائه عندما أفضى ملك الشَّام إِلَى الْملك الْعَادِل نور الدّين مَحْمُود بن زنكي رَحمَه الله ابنتى لَهُ دَاراً فِي قلعة دمشق وسماها دَار الْعدْل فَكَانَ يجلس فِيهَا يتصفح قصَص المظلومين ويفصل بَين المتنازعين ولديه الْفُقَهَاء وأئمة الدّين فَيرجع إِلَيْهِم عَمَّا أشكل عَلَيْهِ من أُمُور الشَّرْع ويبت القضايا ويفصل كلما انْتهى إِلَيْهِ فِي ذَلِك الْيَوْمَ وَجعل هَذَا سنّة فِي جَمِيع مَدَائِن الشَّام(الشيرزي. د. ت. ص٥٦٧).

قال الْفَقِيه أَبُو طَاهِر إِبْرَاهِيم بن الْحسن بن الحصني الْحَمَوِيّ قَالَ كنت عِنْد الْملك الْعَادِل مَحْمُود بن زنكي فِي دَار الْعدْل بِدِمَشْق وَقد أخرج أَمْلَاك أهل الشَّام فَجعل ينظر فِيهَا فَلَمَّا انْتهى إِلَى ذكر خراج معرة النُّعْمَان قَالَ إِنِّي قد عزمت على انتزاع أَمْلَاك أهل المعرة من أَيْديهم فقد رفع إِلَيّ أهل الْخَيْر من الثِّقَات أَن جَمِيع أهل المعرة يتقارضون الشَّهَادَة فَيشْهد أحدهم لصَاحبه فِي دَعْوَى ملك حَتَّى يشْهد ذَلِك مَعَه فِي دَعْوَى أُخْرَى وَأَن الْملك الَّذِي فِي أَيْديهم إِنَّمَا حصل لَهُم بِهَذِهِ الطَّرِيقَة قَالَ فَقلت لَهُ أَيهَا الْملك إِن الله تَعَالَى أوجب عَلَيْك الْعدْل فِي رعيتك فَانْظُر واكشف وَتوقف فِي الْأُمُور إِذا رفعت إِلَيْك فَإِن أهل المعرة خلق كثير يَسْتَحِيل تواطؤهم على شَهَادَة الزُّور وانتزاع الْأَمْلَاك من أَرْبَابهَا بِمُجَرَّد هَذَا القَوْل لَا يجوز قَالَ فَأَطْرَقَ سَاعَة ثمَّ رفع رَأسه وَقَالَ إِنِّي أمْسكهَا عَلَيْهِم ثمَّ أكشف عَنْهَا بعد ذَلِك والتفت إِلَى كَاتبه وَقَالَ اكْتُبْ كتابا إِلَى الْوَالِي فِي المعرة وليمسك جَمِيع الْملك الَّذِي فِي أَيدي أَهلهَا حَتَّى يَسْتَدْعِي الْبَيِّنَة(الشيرزي. د. ت. ص٥٦٨).

ومن نهضته الحضارية أعمار المساجد، يَنْقُلُ عَنْ السَّخَاوِيُّ انهَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِالْمُصْحَفِ الشَّامِيِّ الذي هُوَ بِالْمَشْهَدِ الشَّرْقِي الشَّمَالِيِّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَشْهَدُ عَلِيٍّ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ مِنْ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ. وَأَخْبَرَنَا شُيُوخُنَا الْمَوْثُوقُ بِهِمْ أَنَّ هَذَا الْمُصْحَفَ كَانَ أَوَّلًا بِالْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ بِالْكُوشَكِ دَاخِلَ دِمَشْقَ الَّذِي جَدَّدَ عِمَارَتَهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ زِنْكِي- رَحِمَهُ اللَّهُ - وَأَنَّ السَّخَاوِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ سَبَبُ مَجِيئِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ مِنَ الْجَامِعِ (ابن الجزري. ١٩٨٨. ج١. ص٤٥٥)، وفي مراكز الحمام الذي نشأ من بلد الموصل، وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى أفردوا له ديواناً وجرائد بأنساب الحمام؛ وللفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك كتاب سماه: (تمائم الحمائم) (العمري. ١٩٨٨. ص٢٥٤)، فأما أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل فهو الشهيد نور الدين محمود بن زنكي - رحمه الله - سنة ٥٦٥هـ، وَهُوَ الَّذِي بنى أسوار مدن الشَّام حِين وَقعت بالزلازل من دمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر وبعلبك وَغَيرهَا فَبَقِيَ إِلَى مَا بعد خلَافَة المقتفي (القلقشندي، ١٩٨٥، ج٢، ص٤٠).

وكانت دمشق في نهاية القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن قد أصبحت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة الفكرية، فيها من المدارس العامرة ودور الحديث والقرآن العدد الكثير، عمل على تعميرها حكامها وبعض المياسير من أهلها لا سيما منذ عهد نور الدين زنكي (الذهبي. ١٩٨٥. المقدمة. ص١٢؛ حسن. ١٩٤٨. ص ٧٨؛ عاشور، ٢٠٠٤، ص ٩٦(.

وكانت العناية بالدراسات الدينية، من تفسير وحديث وفقه وعقائد، هي السمة البارزة لهذا العصر، ولم بعد هناك اهتمام كثير بدراسة العلوم الصرفة التي كانت قد أصبحت من « الصنائع المظلمة «(الذهبي.٢٠٠٣. ص٢٦٣)، وشهدت دمشق في هذا العصر نزاعاً مذهبياً وعقائدياً حادا، كان الحكام المماليك يتدخلون فيه في كثير من الأحيان، فيناصرون فئة على أخرى وكان الأيوبيون قبل ذلك قد عنوا عناية كبيرة بنشر مذهب الإمام الشافعي، فأسسوا المدارس الخاصة به، وأوقفوا عليها الوقوف وعنوا في الوقت نفسه بنشر عقيدة الأشعري، واعتبروها السنة التي يجب اتباعها (ابن كثير. ١٩٩٧.ج١٤. ص ص٢٨ ،٣٨،٤٩؛ ابن حجر. ١٣٤٩هـ.ج١، ص٦١).

لذلك أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة في مصر والشام، وقد أثر ذلك على المذاهب الأخرى، فأصابها الوهن والضعف عدا الحنابلة الذين ظلوا على جانب كبير من القوة، وكانت لهم في دمشق مجموعة من دور الحديث والمدارس وكان النزاع العقائدي بين الحنابلة والأشاعرة مضطرما، زاده اعتماد الحنابلة على النصوص في دراسة العقائد، واعتماد الأشاعرة على الاستدلال (النعيمي. د. ت. ج٢. ص ص١٢٩،١٢٦).

ومن آثاره الحضارية ايضاً البيمارستان (المستشفى) الكبير والذي كان فيها مُهَذَّب الدِّين الدَّخْوار وهو طبيب، انتهت إليه رياسة صنعته في عصره، ولد ونشأ في دمشق، واتصل بالملك العادل (أبي بكر ابن أيوب) سنة (٦٠٤هـ) فارتفعت منزلته عنده حتى جعله في جلسائه وأصحاب مشورته، وأغدق عليه إنعامه. ولما توفي العادل (سنة ٦١٥ه)، وولي الملك المعظم بالشام ولاه النظر في البيمارستان (المستشفى) الكبير الّذي أنشأه نور الدين بن زنكي، فأقام يصنف كتبه ويعلم الناس الطب إلى أن ملك دمشق الملك الأشرف (سنة ٦٢٦ هـ فولاه رياسة الطب (الزركلي. ١٩٦٩. ج٣. ص٣٤٧)، فظل على ذلك إلى أن توفي بدمشق ووقف داره (مدرسة للأطباء) وهي بنواحي الصاغة العتيقة (الزركلي. ١٩٦٩. ج٧. ص٢٥٧)، ويعالج المرضى فيه احتساباً، ثم ألزم بتقرير مرتب له. ومن آثاره الحضارية كذلك قيامه بترميم قلعة الشهباء، وهي قلعة شامخة الذرى أكب عليها الدهر وانزلها في الحضيض والسفال، فعادت أطلالاً بالية ورسوماً دارسة وخرباً صامتة، تحدث الورى بعظمة الجدود وتناجي النفوس بقدرة الخالق في الوجود والكائنات. عندها تقف الألوف طويلاً بين متنزه يلهو بالمادة، ومفكر يدرس في كتاب الوجود، ومعتبر يتأمل بمصير الأمور، ومهندس يشتغل بالمقادير والأشكال، وراوٍ محقق يستنطق الآثار ليسجلها ذكرى وعبرة للآتين والكل لا يجسر أن يلفظ كلمته الأخيرة في واضع أسسها ورافع أبراجها. على ممرها اللاحب جرت الغزاة غازياً إثر غازٍ، وتدفقت الأجناد فيلقاً تلو فيلق،

متسابقين متزاحمين متدافعين بين مشتبك القنا وعلى صليل السيوف، وتحت مثار العثير، وعلى هتاف الظفر ونحيط الذعر والاندحار إلى ... مجد النصر ومجد الفتح إلى ... هوة الأبدية ولهوات العدم (الجميل وتقي الدين. ١٩١٣. ج١. ص٢٨٩).

وعلى جانبي القلعة الجنوبي والشمالي برجان هائلان مربعا الشكل شادها الأمير سيف الدين جكم ولما خربا جدد بنيانهما الملك الأشرف قانصوه الغوري في سنة ٩١٤ - ٩١٥ هجري وهما الآن أصلح حالاً من سائر أبنية القلعة التي استولى عليها الخراب والدمار إلى حد التعطيل الفاحش والتشويه الشنيع. ولا يصعد إلى هذه القلعة إلا من جهتها الجنوبية ومدخلها متقن الصنعة عجيب البنيان يجتازه الداخل على جسر ممتد إلى المدينة يستند إلى ست حنايا ضخمة مرتفعة. وعلى باب المدخل برجان على جانب من المناعة والضخامة وعليهما نقوش بديعة تزينهما وعلى طولها كتابة عربية من الخط النسخي المملوكي، تبهر النظر وتستلفت الخواطر، يستفاد منها أن السلطان خليل بن قلاوون أمر بعمارة هذا المدخل بعد إهماله وإشرافه على الدثور في سنة ٦٩٠ هجري (١٢٩١م).ولهذا المدخل عدة أبواب يتخللها دركاوات بآزاج معقودة وحنايا منضودة، وكان لكل باب اسفسلار ونقيب وأماكن لجلوس الجند وأرباب الدولة، وعلى هذه الأبواب نقوش وكتابات عديدة جميلة تخلب الألباب ومن حولها شرفات ومرام لآلات الحرب وأدوات الكفاح تزيد هذا المدخل العجيب رونقاً وجمالاً.

وإذا تجاوز الداخل باب المدخل صاعداً إلى القلعة وماراً بالأبواب والدركاوات الواسعة المعابر كثيرة الزوايا المستقيمة، ينتهي إلى الباب الأوسط فيرى على طرفيه ثعابين طويلين يلتفان على بعضهما وفي أعلاه كتابة جميلة مآلها أن الملك الظاهر وذهب غالب مؤرخي العرب إلى أن أول من بنى القلعة سلوقوس الأول الملقب بنيقاطور أحد قواد الإسكندر الذي ملك على سورية سنة ٣٠١ قبل المسيح، وارتأى أهل التحقيق أن بناتها الحثيون الذين استولوا على سورية الشمالية في القرن السابع عشر الميلادي، واستندوا إلى ما خلفه هذا الشعب القوي من الكتابات والتماثيل والرسوم العديدة في هذه النواحي، واستدلوا فيما استدلوا عليه بما بين هذه القلعة وبين قلاع حمص وحماه وحارم من التشابه العظيم. والحق يقال إن سلوقوس أصلح القلعة فقط، لما رمم بحلب بعض الترميمات، وبنى فيها أبنية جديدة وأطلق عليها اسم بيريا أو باروا، ولما فتحها كسرى أنوشروان وشاد سورها بنة في القلعة مواضع. وعندما فتح ابن عبيدة حلب كانت قلعتها مرممة الأسوار بسبب زلزلة أصابتها قبل الفتح فأخربت أسوار البلد وقلعتها ولم يكن ترميمها محكماً فنقض بعضه وبناه. وعنى بها بنو أمية وبنو العباس فتركوا فيها آثاراً ولما هاجم نيقفور ملك الروم حلب سنة ٣٥١ هجري امتنعت القلعة عليه وكان قد اعتصم بها جماعة من العلويين والهاشميين فحمتهم، ولم يكن لها يومئذ سور عامر فكانوا يتقون سهام الروم بالأكف والبرادع. ولما تولاها الأمراء الحمدانيون بنى فيها سيف الدولة وابنه سعد الدولة مواضع وكذلك شاد بها بنو دمرداش دوراً وجددوا أسوارها وكذلك عني عماد الدين آق

سنقر وولده عماد الدين زنكي بتحصينها وكذلك بنى بها طغتكين برجاً من جنوبها وخزناً للذخائر وكذلك شاد فيها الملك العادل نور الدين زنكي أبنية كثيرة. ولما ملكها الملك العادل سيف الدين الأيوبي بنى بها برجاً وداراً لولده فلك الدين. ولما ملكها الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وبنى فيها مصنعاً للماء ومخازن للغلات وسفح (الجميل وتقي الدين. ١٩١٣. ج١. ص٢٩١).

المبحث الثالث

الحركة الفكرية في عهد نور الدين زنكي

نبتدأ حديثنا في هذا المبحث عن المدرسة النورية الكبرى، فقد كان موضعهَا يُسمى بالخواصين وَهِي مَعْرُوفَة الْآن مَشْهُورَة فَلَا نطيل الْكَلَام عَن وصفهَا، قَالَ النعيمي: كَانَ موضعهَا قَدِيماً دَاراً لمعاوية بن أبي سُفْيَان وَكَانَت لمعاوية دَار ثَانِيَة بِبَاب الفراديس تَحت السَّقِيفَة يُقَال أَنَّهَا الدَّار الْمَعْرُوفَة الْآن بِابْن الْمُقدم ، وهو يقصد الْمحلة الَّتِي بهَا الْمدرسَة المقدمية وَيُؤْخَذ من كَلَام الذَّهَبِيّ أَن دَار مُعَاوِيَة بالخواصين صَارَت لهشام وَفِي الْكَوَاكِب الدرية أَنَّهَا صَارَت بعده لِسُلَيْمَان بن عبد الْملك وَلم تزل تنْتَقل من يَد إِلَى يَد إِلَى أَن بنى بَعْضهَا الْملك الصَّالح إِسْمَاعِيل بن نور الدّين مَحْمُود بن زنكي الْمدرسَة الْمَعْرُوفَة الْآن بالنورية بناها لأَصْحَاب الإِمَام أبي حنيفَة ثمَّ نقل وَالِده إِلَيْهَا فدفنه فِي قبر مَعْرُوف بِهِ بعد أَن كَانَ مدفنه فِي القلعة وَفِي الْمدرسَة يَقُول عرقلة الشَّاعِر الْمَشْهُور:

(ومدرسة سيدرس كل شَيْء ... وَتبقى فِي حمى علم ونسك)

(تضوع ذكرهَا شرقا وغربا ... بِنور الدّين مَحْمُود بن زنكي)

(يَقُول وَقَوله حق وَصدق ... بِغَيْر كِنَايَة وَبِغير شكّ)

(دمشق فِي الْمَدَائِن بَيت ملكي ... وهذي فِي الْمدَارِس بَيت ملكي)

أنشأ هَذِه الْمدرسَة الْمُبَارَكَة الْملك الْعَادِل الزَّاهِد نور الدّين أَبُو الْقَاسِم مَحْمُود بن زنكي ابْن آق سنقر ضاعف الله ثَوَابه ووقفها على أَصْحَاب الإِمَام سراج الْأمة أبي حنيفَة رَضِي الله عَنهُ (ابن بدران. ١٩٨٥. ص ٢١٣)، ووقف عَلَيْهَا وعَلى الْفُقَهَاء والمتفقهة بهَا جَمِيع الْحمام المستجد بسوق الْقَمْح والحمامين المستجدين بالوراقة ظَاهر بَاب السَّلامَة وَالدَّار الْمُجَاورَة لَهما والوراقة بعونية الْحمى وجسر الْوَزير وَالنّصف وَالرّبع من بُسْتَان الجوزة بالأرزة والإحدى وَالْعِشْرين حانوتا خَارج بَاب الْجَابِيَة والساحة الملاصقة لَهَا من الشرق والستة حقول بداريا على مَا نَص وَشرط فَكتب الْوَقْف رَغْبَة فِي الْآخِرَة وَالثَّوَاب وتقدمة بَين يَدَيْهِ يَوْم الْحساب: { فَمن بدله بعد مَا سَمعه فَإِنَّمَا إثمه على الَّذين يبدلونه إِن الله سميع عليم} البقرة ١٨١، وَذَلِكَ فِي مُدَّة آخرهَا شعْبَان سنة سبع وَسِتِّينَ وَخَمْسمِائة، وعَلى تِلْكَ الْمدرسَة الرونق والبهاء وَلَكِن بعض جيرَانهَا اختلس بعض حجراتها وَهِي الْآن كَبَقِيَّة الْمدَارِس خَالِيَة من طلبة الْعُلُوم الحقيقيين فَلَعَلَّ الزَّمَان يساعدها فَتُصْبِح رَوْضَة زاهرة بِالْعلمِ وَأَهله فَأَنَّهَا تستَحقّ ذَلِك ودرس

بهَـا فِي أول أمرهَـا بهـاء الدّيـن ابْـن العقـاد ثـمَّ ثَلَاثَـة بعـده ثـمَّ وَليهَـا جمـال الدّيـن الحصـيري ثـمَّ وَلَـده قـوام الدّيـن ثـمَّ أَخُـوهُ نظـام الدّيـن ثـمَّ خَمْسَـة آخِرهـم شـمس الدّيـن الصَّفَـدِي تَرْجَمَـة بانيهـا وقـال: اخْتلـف المؤرخـون فِي تعْيـين بانيهـا فَقَـالَ الْمدرسَـة النوريـة الصُّغْـرَى هِـيَ بِجَامِـع قلعـة دمشـق كَـذَا فِي تَنْبِيـه الطَّالِـب وَقَـالَ العلمـوي هِـيَ تجـاه قلعـة دمشـق بناهـا السُّـلْطَان نـور الدّيـن الْمُتَقَـدّم درس بهَـا بهـاء الدّيـن بـن عَيَّـاش ثـمَّ بعـده تِسْـعَة انفس آخِرهـم عمـاد الدّيـن الطرسـوسي، أَقُـول أيـا مَـا كَانَـت فَلـم أر لمكانهـا أثـرا فـان كَانَـت فِي جَامـع القلعـة فلعلهـا كَانَـت حَلقَـة أَو هِـيَ مقَـام الصَّحَابِـيّ الْجَلِيـل أبـي الـدَّرْدَاء وان كَانَـت تجـاه القلعـة فإمَّـا أَن يَعْنِـي بهَـا مدرسـة دَار الحَدِيث النوريـة الْمُتَقَـدّم ذكرهَـا وَأمـا أَن تكـون أدخلـت فِي الْجَامِـع الْمُسَـمّى الْآن بسـيدي خَلِيـل لِأَن بنـاءه يـدل عـلى أَنـه مدرسـة وَأمـا أَن تكـون أَيـدي الزَّمَـان تلاعبـت بهَـا كَمَـا تلاعبـت بغَيْرهَـا فجعلتهـا دَارا أَو دكانـا أَو غـير ذَلِـك وَاللـه أعلـم .

هِـيَ بِجَامِـع قلعـة دمشـق كَـذَا فِي تَنْبِيـه الطَّالِـب وَقَـالَ العلمـوي هِـيَ تجـاه قلعـة دمشـق بناهـا السُّـلْطَان نـور الدّيـن الْمُتَقَـدّم درس بهَـا بهـاء الدّيـن بـن عَيَّـاش ثـمَّ بعـده تِسْـعَة أنفـس آخِرهـم عمـاد الدّيـن الطرسـوسي (ابـن بـدران. ١٩٨٥. ص٢٢٢)، أَقُـول أيـا مَـا كَانَـت فَلـم أر لمكانهـا أثـرا فـان كَانَـت فِي جَامـع القلعـة فلعلهـا كَانَـت حَلقَـة أَو هِـيَ مقَـام الصَّحَابِـيّ الْجَلِيـل أبـي الـدَّرْدَاء وان كَانَـت تجـاه القلعـة فإمَّـا أَن يَعْنِـي بهَـا مدرسـة دَار الحَدِيـث النوريـة الْمُتَقَـدّم ذكرهَـا وَأمـا أَن تكـون أدخلـت فِي الْجَامِـع الْمُسَـمّى الْآن بسـيدي خَلِيـل لِأَن بنـاءه يـدل عـلى أَنـه مدرسـة وَأمـا أَن تكـون أَيـدي الزَّمَـان تلاعبـت بهَـا كَمَـا تلاعبـت بغَيْرهَـا فجعلتهـا دَاراً أَو دكانـاً أَو غـير ذَلِـك وَاللـه أعلـم، وفِي الروضتـين بنـى نـور الدّيـن الْمدرسَـة النوريـة لأَصْحَـاب أبـي حنيفَـة بجـوار الخواصـين فِي الشَّـارِع الغربـي وَقَـالَ ابْـن شَـدَّاد أَنْشَـأَهَا الْملـك نـور الدّيـن، قَـالَ النعيمـي: وَفِيـه نظـر إِنَّمَـا الَّـذِي أَنْشَـأَهَا الْملـك الصَّالـح إِسْـمَاعِيل بْـن نـور الدّيـن مَحْمُـود بـن زنكـي فِي سـنة ثَـلَاث وَسِـتِّينَ وَخَمْسـمِائة انْتهـى وَالَّـذِي فِي العـبر للذهبـي: أَن الَّـذِي بناهـا نـور الدّيـن ويلـوح لي أَن بانيهـا الأول إِنَّمَـا هُـوَ نـور الدّيـن وَلَعَـلَّ وَلَـده بنـى التربـة الَّتِـي بهَـا وتمـم بعـض مَـا كَانَ نَاقِصـا مِنْهَـا فنسـبت إِلَيْـهِ وأيـا مَـا كَانَ فعلى روح منشـئها الرَّحْمَـة والرضـوان وجعـل جـزاءً مـن الوقـف يـصرف عـلى مصالـح المدرسـة النوريـة ومـن ذلـك أن يـصرف في شراء ورق وآلات نسـخ مـن مركـب حـبر وأقـلام ودوي ونحـو ذلـك مـا يقـع بـه الكفايـة لمـن ينسـخ في الديـوان الكبـير أو قبالتـه الحديـث أو شـيئاً مـن علومـه أو القـرآن العظيـم أو تفسـيره، ويـصرف إلى مـن يكتـب في مجالـس الإمـلاء، وإلى مـن يتخـذ لنفسـه كتبـاً أو اسـتجازة، ولا يعطـى مـن ذلـك إلا لمـن ينسـخ لنفسـه لغـرض الاسـتفادة والتحصيـل دون التكسـب والانتفـاع بثمنـه. قـال: وللشـيخ الناظـر أن يستنسـخ للوقـف أو يشـتري مـا تدعـو الحاجـة إليـه مـن الكتـب والأجـزاء ثـم يقـف ذلـك أسـوة مـا في الـدار مـن كتبهـا. وكتـب سـنة سـتمائة واثنتـين وثلاثـين (كـرد عـلي. ١٩٨٣ ج٦. ص١٩٠).

خلاصـة القـول يعـد مسـجد النـوري مـن المسـاجد القديمـة الـذي بنيـت في عهـد نـور الديـن

زنكي عام ألف ومائة وتسعة وعشرين ميلادية، ويظهر على جدرانه بعض المخطوطات العربية والإغريقية.

ومنها ايضاً مدرسة الكلاّسة، وهي المدرسة التي أنشأها نور الدين سنة ٥٥٥هـ، ثم احترقت هي ومنارة العروس بعد إنشائها بأمد يسير، فجدّدها صلاح الدين هي والمنارة، وهذه هي المنارة الرئيسة اليوم، وفيها أذان الجماعة الذي أُحدث في عصور متأخرة، ذلك لأنها تطل على صحن المسجد، وفيها الآلة الفلكية التي تسمى البسيط، والبسيط الذي كان فيها من صنع ابن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع في القرن الثامن وهِيَ ملاصقة للجامع الْأَمَوِي من الْجِهَة الشمالية وَلها بَاب ينفذ إِلَيْهِ وموضعها من جملَة متفرعات الْجَامِع وَكَانَت أَولا مَوضِع عمل الكلس حِين مَا يحْتَاج الْجَامِع للأعمار أعدت لذَلِك أَيَّام بنائِهِ فَمن ثمَّ جعلت من الزِّيَادَات عَلَيْهِ لما ضَاقَ بِالنَّاسِ فَإِذا احْتِيجَ إِلَيْهَا لخراب جَانب مِنْهُ صلى المصلون(الطنطاوي.١٤٢٠هـ. ص٢٢)، بهَا وَبقيت على ذَلِك إِلَى سنة خمس وَخمسين وَخَمْسمِائة أَيَّام ملك نور الدّين مَحْمُود بن زنكي دمشق فبناها مدرسة فِي السّنة الْمَذْكُورَة ثمَّ فِي سنة سبعين وَخَمْسمِائة تناولتها السن النيرَان فاحترقت هِيَ والمئذنة الَّتِي بجانبها الْمُسَمَّاة بمئذنة الْعَرُوس أَيَّام كَانَ صَلَاح الدّين مَالِكًا لدمشق فَأمر بتجديد بنائها وَجعل عَلَيْهِ أَبَا الْفَتْح ابْن العميد فجددها وأتقن بناءها ثمَّ فِي سنة سبع وَأَرْبَعين وسِتمِائَة جدد بركتها جمال الدّين بن يغمور وبلط أَرْضهَا وَارْض دهليزها ثمَّ إِن النَّائِب جقمق بانى الْمدرسَة الحقميقية فتح لتربته شباكا إِلَى الكلاسة من الإيوان وَأَرَادَ عمارتها لكونهَا أَصَابَهَا بعض التخريب فَطلب الْعَامِل عَلَيْهَا وَسَأَلَهُ عَن مَالهَا فَقَالَ أَخذه الْمدرس والناظر وَبَعض الْفُقَهَاء فَأخذ فِي حِسَاب مَا اخذ فَوَجَدَهُ خَمْسَة آلاف دِرْهَم فرسم بِأَن يسترجع ويعمر بهَا فَقيل لَهُ أَن هَذَا الْوَقْف لَيْسَ هُوَ وقف الكلاسة وَإِنَّمَا هُوَ وقف على درس بهَا فَلم يقبل ذَلِك وَلم يسمعهُ ورسم على تَقِيّ الدّين صهر الْغَزِّي شهَاب الدّين الْمدرس بهَا وَالْعَامِل أَن يحبسا بدار السَّعَادَة فحبسا اكثر من شهر ثمَّ أطلقا على أَن يشرعا فِي الْعِمَارَة قَالَه فِي تَنْبِيه الطَّالِب وَغَيره وسكان محلة الكلاسة يغلب عليهم ألفاظ أهل الحرث(الغزي. ١٤١٩هـ. ج١. ص١٨٨).

وكانت الكتب والرسائل تباع في الكلاسة شمالي الجامع الأموي على مقربة من ضريح صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكلما أحرز الشيخ شيئاً من الأوراق والأسفار طالعه بإمعان وخبأه وحرص عليه فاستنار عقله وكثرت معلوماته واجتمعت له بطول الزمن خزانة مهمة من الأسفار قدرتها بستة آلاف مجلد فيها كثير من النوادر المخطوطة.

تولّى التعليم للمرة الأولى في المدرسة الظاهرية الإبتدائية ولما أسست الجمعية الخيرية من علماء دمشق وأعيانها سنة ١٢٩٤هـ دخل في عداد أعضائها وكان من أكبر العوامل فيها ثم استحالت هذه الجمعية «ديوان معارف» فعين مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية التي أنشئت على عهد المصلح الكبير مدحت باشا والي سورية سنة ١٢٩٥هـ. وكان للشيخ الأثر العظيم في تأسيسها

بمعاونة صديقه بهاء الدين بك أمين سر الولاية، وهو أديب تركي كان يحب نهضة العرب كما يحب العلم والأدب. وفي هذه الحقبة ظهر نبوغ شيخنا وعبقريته في تأسيس المدارس واستخلاصها من غاصبيها وحمل الآباء على تعليم أولادهم ووضع البرامج وتأليف الكتب اللازمة للمدارس، كن يقوم بهذه الأعمال المهمة ولا يفتأ يزداد كل يوم علما وتجربة وتفانيا في نهضة البلد وتحسين الملكات وصقل الأخلاق والعادات (الصنهاجي. ١٩٦٨.ج٤. ص١٥٤؛ كرد علي. ١٩٨٣.ج٤. ص١١٦).

ومن النقوش الكثيرة التي بقيت محفوظة على بعض مصانع الشهباء نقوش باب إنطاكية وباب النصر وعلى هذا قطعة من إفريز تمثل كرمة معرشة يركض إلى جانبها أرنب. ومن أجمل آثار قلعتها المحراب المنقوش على الخشب من عمل نور الدين زنكي من المنابر العجيبة الصنع ما عمله نور الدين محمود بن زنكي في حلب برسم المسجد الأقصى (الغزي. ١٤١٩هـ. ج٢. ص١٩٥). وفي رأس المسجد شبه قفص من أطواق حديدية تعلق بها القناديل قيل إن نور الدين زنكي كان يحرق به العود البخور في المواسم الدينية وتزعم العامة أن هذا العمود كان شجرة اختبأ فيها زكريا عليه السلام.

والمكتبة الظاهرية التي تنسب الى الظاهر بيبرس تضم بناءين هما المدرسة العادلية الكبرى، ووضع أساسها السلطان نور الدين زنكي سنة ٥٦٨ هجري لدراسة الفقه الشافعي وأكمل بناء المدرسة الملك العادل الأيوبي وابنه الملك المعظم حيث ما زال ضريحاهما داخل غرفة خاصة في البناء المذكور ونقل إلى المسجد الأقصى المنبر الذي أعده نور الدين زنكي لهذا.

وقد كان المسجد الأقصى مركزا للحياة الفكرية في بيت المقدس. وذلك بما قام فيه وفي ساحاته وحوله من مؤسسات علمية مدارس ومكتبات ودور لحفظ القرآن ودراسة علومه ودور للحديث النبوي الشريف وزوايا وخوانق، ورباطات معاهد علمية أو كليات جامعية تعقد فيها الحلقات العلمية لدراسة العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية والتاريخ وعلم الكلام والمنطق والعلوم الرياضية، وغيرها من فنون العلم (ارنولد وهارتمان. د.ت. ج٣٠. ص٩٣٧١).

وكانت المظالم تنظر في جلسة علنية تسمى المجلس، وتكون عادة في المقر الإداري لمن سينظر فيها، وتغير ذلك الوضع حين أسس نور الدين زنكى « دار العدل» في دمشق عام ٤٥٩ هـ/ ١١٥٤م خصيصا لهذا الغرض. وقد عرفت العواصم في عهد الأيوبيين أيضا دور العدل، أما في مصر فقد كانت الجلسات تعقد في المدرسة الشافعية. وكانت الجلسات تعقد مرتين أسبوعيا، يومي الاثنين والخميس، وكان انتقال السلطان وكبار رجال الدولة إلى دار العدل يتم بموكب رسمي كبير، أضيف إليه فيما بعد وليمة (سماط) وأصبح الإجراء في مجمله يعرف باسم «الخدمة»، والتي بلغت أوجها في بداية عهد المماليك (ارنولد وهارتمان. د.ت. ج٣٠. ص٩٣٧١).

وكان نور الدين يتحرّى العدل، وينصف المظلوم من الظالم كائناً من كان، القوي والضعيف عنده في الحق سواء، فكان يسمع شكوى المظلوم، ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى

الحاجب ولا امير، فلا جرم ان سار ذكره في شرق الارض وغربها (ابن الأثير.١٩٦٣. ص ١٦٦).

وكان يحضر الى مجلس الحكم ولا فرق بينه وبين أحد من العامة، قال ابن الاثير: واحضره انسان الى مجلس الحكم، فمضى معه اليه، وأرسل الى القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري، يقول: « قد جئت محاكماً، فاسلك معي ما تملك مع الخصوم وظهر الحق له، فوهبه الخصم الذي احضره، وقال: اردت ان اترك له ما يدعيه، انما خفت ان يكون الباعث لي على ذلك الانفة من الحضور الى مجلس الشريعة، فحضرت ثم وهبته ما يدعيه.

وبنى دار العدل في بلاده، وكان يجلس هو والقاضي فيها ينصف المظلوم، ولو كان يهودياً، من الظالم، ولو انه ولده او أكبر امير عنده (ابن كثير.١٩٩٧. ج١٢. ص٢٨).

وكان نور الدين يحرص على ان تسود العدالة بين الناس لذا نراه « يجلس في دار العدل التي بناها مرتين في الاسبوع، وقيل أربع مرات، وقيل خمس، ويحضر القاضي والفقهاء من سائر المذاهب، ويصل اليه القوي والضعيف، ويكشف المظالم (ابن قاضي.١٩٧١. ص٢٤)، وكان سبب بناء دار العدل، هو أسد الدين، لان كمال الدين لم يقدم على الانتصاف من أسد الدين شيركوه فانهي الحال الى نور الدين فأمر حينئذٍ ببناء دار العدل، فلما سمع بذلك أسد الدين، جمع نوابه وامرهم ان يرضوا كل من بينهم وبينه منازعة، وكان يقول: خروج املاكي عن يدي أسهل على من ان يراني نور الدين بعين أني ظالم، او يساوي بيني وبين آحاد الناس في حكومة وبعد ذلك، جلس نور الدين في دار العدل ولم يحضر عنده أحد يشكو من أسد الدين»(ابو شامة. ١٩٥٦.ج١. ص ص ١٧-١٨).

ولم يكن نور الدين يعاقب على الظنة والتهمة، بل يطلب الشهود على المتهم، فان قامت البينة الشرعية، عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد، فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته مع شدة السياسية والمبالغة في العقوبة، والاخذ بالظنة، وامنت البلاد مع سعتها، وقل المفسدون ببركة العدل، واتباع الشرع المطهر (ابن الاثير. ١٩٦٣.ص٦٧).

فنور الدين الملك العادل كان يتبع في عدله الشريعة الاسلامية وكان يقف في صف الحق، ولا يفرِّق بين مسلم وذمي في الحكم وكان يطلب الى مجلس الحكم فيذهب اليه، ويساوي بينه وبين خصمه لذلك كانت شخصيته متميزة فأحبه من عزفه او سمع به، وأكثر المؤرخون من الثناء عليه وكذلك الادباء وبرزت صفة العدل في كثير من النصوص الادبية ولاسيما القصائد الشعرية، فنجد لقب (الملك العادل) يتردد على السنة الشعراء يقول ابن منير: الملك العادل لفظ طابق المعنى وفي وصف معان مستترى (الطرابلسي.١٩٨٦. ص١٨٧)، وكان نور الدين من القادة السياسيين الذين صاغوا الانتصارات في الحروب الصليبية، فقد استطاع بحنكته ودهائه ان يكوّن دولة اسلامية واسعة وقفت في وجه الصليبيين.

وقد صور الادباء كفاية نور الدين وقدرته على تدبير شؤون دولته وسياسته للمسلمين وسهره على مصالحهم، وعمله على توفير الامن والسلام لهم، فتحدّث الادباء عن جهوده

وعلاقاته السياسية، فهو مصلت الراي قبل ان يكون مصلت الحسام، يقول ابن منير:

وأصلت رأيك قبل الحسام فخمد جمرة اجلابها (الطرابلسي.١٩٨٦. ص٢٢٣)، فنور الدين سياسي بعيد النظر، حسن التقدير لا يخطو خطوة الا بعد تدبير وحساب (مؤنس.١٩٥٥ص ١٧٨).

وسياسته في البلاد التي ملكها كانت ناجحة، فاذا ملك بلدا تمنت البلاد الاخرى ان يملكها، فابن القيرواني يقول من قصيدة له فيه:

وملكت سنجاراً وما من بلدة الا تمنى انها سنجار

ومنها:

وملكت رحبة مالك فتبوحت منها لعينك كاعب معطار

(ابو شامة. ١٩٥٦.ج١. ص١٧٥).

فالبلاد التي تستعصي على غيره، يطلبها فتاتي مطيعة، فقد أحسن سياستها وترويضها، يقول ابن القيسراني:

سام الشام ويالها من صفقة لولاه ماعنت على يد سائم

ولشمرت عنها الثغور واصبحت فيها العواصم وهي غير عواصم

تلك التي جسمت على من ارضها ودعوت فانقادت بغير شكائم

(ابن قاضي. ١٩٧١.ج١. ص١٧٨).

ويظهر من مراسلة نور الدين مجير الدين ورد مجير الدين عليه، حرص نور الدين على بلاد المسلمين، وغيرته على حرماتهم، وتهاون مجير الدين في الدفاع عن البلاد الاسلامية، وتعاونه مع الفرنج ضد المسلمين، مما جعل نور الدين يسعى بعد ذلك إلى ضمِّ دمشق؛ لأنها تقف في الطريق بينه وبين الفرنج.

وكان نور الدين يجنح للسلم ان كان في القتال ضرر يقع على المسلمين المقيمين في المدينة التي يحاصرها وذلك كما حدث في دمشق سنة خمس واربعين وخمسمائة، عندما أشفق نور الدين من سفك دماء المسلمين ان اقسام على حربها والمضايقة لها، وبعد ذلك بذلت الطاعة له واقيمت الخطبة له على منبر دمشق، بعد الخليفة والسلطان، ورحل عن مخيمه عائداً الى حلب، بعد احكام ما قرر وتكميل ما دبر (ابن قاضي. ١٩٧١.ج١. ص١٧٩).

وقد هنأ ابن القيسراني نور الدين في هذه المناسبة بقصيدة قال منها:

وقد علم الاعداء مذبت جانحاً الى السلم ما تنوى بذاك وما تنمو

إذا ما (دمشق) ملكتك عنانها تيقن من في ايليا انه الذبح

متى التف النقع الجحفلين على الهدى فلا مهمه يحوي الضلال ولا سفح

إذا سار نور الدين في الجيش غازياً فقولا لليل الا فك قد طلع الصبح

(ابن قاضي. ١٩٧١.ج١. ص١٨٠).

ونرى ابن القيسراني، وقد حبذ الصلح والوفاق، وعد صلح نور الدين مع أرباب دمشق انتصاراً سياسياً، يحققه في المنطقة؛ لأنه بذلك يستطيع التفريق بين دمشق والفرنج، وبذلك لا يجمع عدوين في آنٍ واحدٍ، واتبع نور الدين هذه السياسة مع الروم في اثناء حربه للفرنج، فقد كان يراسل الروم، حتى لا يجتمع الفرنج والروم على حرب المسلمين (ابن قاضي. ١٩٧١. ص١٥٦).

الخاتمـــــــــــة:

بعد هذا السرد التاريخي السريع لبعض المنجزات الحضارية والعلمية في عصر نور الدين زنكي، توصلنا الى عدد من الاستنتاجات يمكن تدوينها بالآتي:

إن جهود نور الدين زنكي ما زالت تحتاج إلى عناية واهتمام، من نواحٍ أخرى، مثل علاقته الفكرية بالعلماء وما شابه ذلك.

المدارس التي أنشأها الملك العادل، قد نظمت تنظيماً علمياً على نحو ما وجدنا، فكانت لؤلؤة زمانها، وسراج العلم في عصرها، ولا غرو في ذلك، فإن دورها في توطيد الصلات العلمية بين العلماء لا ينكر، وتأثيرها الفكري في شعوب أوربا لا يجحد، فرحم الله نور الدين زنكي وطيب ثراه بما أسداه للمسلمين وللإنسانية جمعاء، فقد أثمرت جهوده الطيبة في خدمة العلم والعلماء، وتألقت على يديه تلك الآثار العمرانية العظمى والتي سطرت صفحة مشرقة في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.

لقد شهد عهد نور الدين زنكي تطورات علمية وحضارية كبيرة، وقفزات سريعة في مجالات العلوم كافة، وإذ أخذت تنعكس آثار تطورات بعض العلوم على بعض، فظهرت المدارس الفقهية في عصره وأنشأ المدرسة العادلية، وغير ذلك من الآثار الحضارية الاخرى.

بعد هذا العرض الموجز لواقع الأمة في عصره والأسس التي أرساها، نقول إن واقع الأمة اليوم واقع مؤلم ولا يرضي الله عز وجل، ويجب على الأمة تصحيح واقعها تحقيقها لوحدتها وإن وحدة الأمة مرهونة بتغيير هذا الواقع في ضوء الكتاب والسنة. ونسأل الله العظيم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله لنا ذخراً يوم الدين، وأن ينفع به من كتبه أو اطلع عليه.

المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم

ابن الاثير: أبو الحسن عز الدين علي(ت:٦٣٠هـ):١٩٩٧م: الكامل في التاريخ. (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري): (بيروت: دار الكتاب العربي).

أبن الاثير: أبو الحسن عز الدين علي(ت:٦٣٠هـ):١٩٦٣م: التاريخ الباهر في دولة الاتابكة.

(تحقيق: عبد القادر احمد طليات) :(القاهرة: دار الكتب الحديثة).

ارنولد وهارتمان: م. ت. هوتسما. و. ر. باسيت: موجز دائرة المعارف الإسلامية: الأجزاء (أ) إلى (ع): إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس.

ابن بدران: عبد القادر بن احمد بن مصطفى(ت:١٣٤٦هـ): ١٩٨٥م: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال. (تحقيق: زهير الشاويش) :(بيروت: المكتب الاسلامي).

ابن تغري بردي: يوسف أبو المحاسن (ت: ٨٧٤هـ): د.ت: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. (القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي).

التويجري: حمود بن عبد الله (ت: ١٤١٣هـ):١٤١٢هـ: كتاب الرؤيا. (ط١: د.م: دار اللواء)

ابن الجزري: احمد بن يحيى بن فضل (ت: ٧٤٩هـ):١٩٨٨م: النشر في القراءات العشر. (تحقيق: محمد حسين شمس الدين) :(بيروت: دار الكتب العلمية).

الْجُمَيِّل وتقي الدين: أَنْطُون والشيخ امين، مجلة الزهور:١٩١٠ – ١٩١٣م:(القاهرة: تصوير عن: مطبعة المعارف بشارع الفجالة).

ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل شهاب الدين(ت:٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية).

حسن: علي ابراهيم:١٩٤٨م: دراسات في تاريخ المماليك البحرية :(القاهرة).

ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ):١٩٧١م: تاريخ ابن خلدون. (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات).

ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت:٦٨١هـ):١٩٩٤م: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. (تحقيق: احسان عباس) :(ط١: بيروت: دار صادر).

الخطيب: البغدادي أحمد بن علي (ت:٤٦٣هـ): د.ت: تاريخ بغداد. (بيروت: دار الكتب العلمية).

الدمشقي: عبد القادر بن محمد (ت: ٩٢٧هـ):١٩٩٠م: الدارس في تاريخ المدارس. (تحقيق: إبراهيم شمس الدين الناشر): (بيروت: دار الكتب العلمية).

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ):١٩٨٥م: سير أعلام النبلاء. (تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط): (بيروت: مؤسسة الرسالة).

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ):٢٠٠٣م: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. (تحقيق: بشار عوّاد معروف) :(بيروت: دار الغرب الإسلامي).

الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد:

الزركلي: خير الدين (ت: ١٩٧٦):١٩٦٩م: الاعلام:(بيروت).

الزغبي: محمد بن عبد الملك:٢٠١٠م: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ: (القاهرة: دار التقوى للطباعة والنشر).

الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله أبو النجيب (ت: ٥٠٩هـ): د.ت: المنهج المسلوك في سياسة الملوك. (تحقيق: علي عبد الله الموسى) :(الزرقاء: مكتبة المنار الزرقاء)

ابي شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي(ت:٦٦٥هـ):١٩٥٦م: الروضتين في اخبار الدولتين. (تحقيق: حلمي احمد) :(القاهرة: دار الكتب المصرية).

الصفدي: خليل بن أيبك صلاح الدين(ت:٧٦٤هـ): ١٩٥٥م: أمراء دمشق في الإسلام:(دمشق: المجمع العلمي العربي).

الصنهاجي: عبد الحميد محمد بن باديس (ت: ١٣٥٩هـ):١٣٨٨هـ١٩٦٨م: آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ. (تحقيق: عمار طالبي) :(ط١: د.م: دار ومكتبة الشركة الجزائرية).

الطنطاوي: الشيخ علي: د.ت: الجامع الأموي في دمشق:(دمشق: مطبعة الحكومة).

الطرابلسي: ابن منير (ت:٤٥٨هـ):١٩٨٦م: ديوان ابن منير. (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري) :(بيروت: دار الجيل).

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت: ٧٤٩هـ):١٩٨٨م: التعريف بالمصطلح الشريف. (تحقيق: محمد حسين شمس الدين) :(بيروت: دار الكتب العلمية).

عاشور: سعيد عبد الفتاح:٢٠٠٤م: العصر المماليكي في مصر والشام: (القاهرة: دار النهضة العربية).

الغزي: كامل بن حسين الحلبي الشهير بـ (ت: ١٣٥١هـ):١٤١٩هـ: نهر الذهب في تاريخ حلب:(حلب: دار القلم).

القلقشندي: أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ):١٩٨٥م: مآثر الإنافة في معالم الخلافة. (تحقيق: عبد الستار أحمد فراج): (ط٢: الكويت: مطبعة حكومة الكويت).

ابن قاضي: شهبة بدر الدين (ت: ٨٧٤هـ):١٩٧١م: الكواكب الدرية في السيرة النورية.

(تحقيق: محمود زايد) :(بيروت: دار الكتاب الجديد).

ابن كثير: أبو الفدا أسماعيل بن عمر القرشي البصري(ت:٧٤٧هـ):١٩٩٧م: البداية والنهاية (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي) :(د. م: دار الهجر).

كرد علي: محمد احمد: ٢٠٠٦م: تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي :(عمان: دار البداية).

كرد علي: محمد احمد د.ت: الإسلام والحضارة العربية :(د. م: مؤسسة هنداوي).

كرد علي: محمد احمد:١٩٨٣م: خطط الشام :(دمشق: مكتبة النوري).

المقدم، محمد بن احمد بن اسماعيل:٢٠٠٦م: عودة الحجاب:(د. م: دار طيبة للنشر).

مؤنس: حسين:١٩٥٥م: نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق. (القاهرة: الشركة العربية للطباعة).

مجموعة من المؤلفين: محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ): مجلة المنار وغيره من كتاب المجلة.

ابـن الـوردي: عمـر بـن مظفـر بـن عمـر الكنـدي (ت: ٧٤٩هـ):١٩٩٦م: تاريخ ابـن الـوردي. (بيروت-لبنـان: دار الكتـب العلمية).

ابـن واصـل: جمـال الديـن ابـو عبـد اللـه محمـد بـن سـليم(ت:٦٩٧هـ):١٩٥٧م: مفـرج الكـروب في اخبـار بنـي ايـوب. (تحقيـق: جمـال الشـيال) :(القاهـرة: المطبعـة الأميريـة).

References:

The Holy Quran

A group of authors: Muhammad Rashid bin Ali Reda (T.: 1354 AH): Al-Manar magazine and other writers of the magazine.

Abi Shama: Shihab al-Din Abd al-Rahman bin Ismail al-Maqdisi (T.: 665 AH): 1956 AD: Al-Rawdatain in the news of the two states. (Investigated by: Helmy Ahmed): (Cairo: Egyptian Book House).

Al-Dhahabi: Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed (died: 748 AH): 1985 AD: The Life of the Nobles' Flags. (Investigation: A group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout): (Beirut: Al-Resala Foundation).

Al-Dhahabi: Shams Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed (died: 748 AH): 2003 AD: The history of Islam and the deaths of famous people and figures. (Investigated by: Bashar Awad Maarouf): (Beirut: Dar al-Gharb al-Islami).

Al-Dimashqi: Abdul Qadir bin Muhammad (died: 927 AH): 1990 AD: The student in the history of schools. (Investigated by: Ibrahim Shams al-Din, publisher): (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya).

Al-Ghazi: Kamel bin Hussein Al-Halabi, famous for (d.: 1351 AH): 1419 AH: The Gold River in the History of Aleppo: (Aleppo: Dar Al-Qalam).

Al-Jumayel and Taqi Al-Din: Antoun and Sheikh Amin, Al-Zohour Magazine: 1910 - 1913 AD: (Cairo: Photo by: Al-Maaref Press on Faggala Street).

Al-Khatib: Al-Baghdadi Ahmed bin Ali (T.: 463 AH): Dr. T.: History of Baghdad. (Beirut: House of Scientific Books).

Al-Muqaddam, Muhammad bin Ahmed bin Ismail: 2006 AD: The Return of the Hijab: (Dr.: Dar Taiba Publishing).

Al-Omari: Ahmed bin Yahya bin Fadlallah Al-Qurashi (died: 749 AH): 1988 AD:

Defining the noble term. (Investigated by: Muhammad Husayn Shams al-Din): (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya).

Al-Qalqashandi: Ahmad bin Ali (died: 821 AH): 1985 AD: The feats of the infidels in the landmarks of the caliphate. (Investigated by: Abdul Sattar Ahmed Farraj): (2nd Edition: Kuwait: Kuwait Government Press).

Al-Safadi: Khalil bin Aybak Salah al-Din (died: 764 AH): 1955 AD: The Princes of Damascus in Islam: (Damascus: The Arab Scientific Academy).

Al-Shirazi, Abdul Rahman bin Nasr bin Abdullah Abu Al-Najeeb (died: 509 AH): Dr. T.: The approach used in the politics of kings. (Investigated by: Ali Abdullah Al-Mousa): (Al-Zarqa: Al-Manar Al-Zarqa Library)

Al-Sinhaji: Abdul Hamid Muhammad bin Badis (T.: 1359 AH): 1388 AH 1968 AD: Athar Ibn Badis. (Investigated by: Ammar Talbi) :(1st Edition: DM: House and Library of the Algerian Company).

Al-Tantawi: Sheikh Ali: D.T.: The Umayyad Mosque in Damascus: (Damascus: Government Press).

Al-Tarabulsi: Ibn Munir (died: 458 AH): 1986 AD: Ibn Munir›s Diwan. (Investigated by: Omar Abdel Salam Tadmary): (Beirut: Dar Al-Jeel).

Al-Tuwaijri: Hammoud bin Abdullah (T.: 1413 AH): 1412 AH: The Book of Revelations. (1st floor: d.m.: Dar Al-Liwaa)

Al-Zarkali: Khair Al-Din (d. 1976): 1969 AD: Al-Alam: (Beirut).

Al-Zoghbi: Muhammad bin Abdul-Malik: 2010 AD: One hundred of the great people of the Nation of Islam changed the course of history:
(Cairo: Dar Al-Taqwa for Printing and Publishing).

Arnold and Hartmann: M. NS. Hotsma. And. NS. Bassett: Summary of the Islamic Encyclopedia: Parts (A) to (P): Prepared and Edited by: Ibrahim Zaki Khurshid, Ahmad Al-Shantanawi, Abdul Hamid Younis.

Ashour: Said Abdel-Fattah: 2004 AD: The Mamluk Era in Egypt and the Levant: (Cairo: Arab Renaissance House).

Hassan: Ali Ibrahim: 1948 AD: Studies in the history of the Bahri Mamluks: (Cairo).

Ibn al-Atheer: Abu al-Hasan Izz al-Din Ali (died: 630 AH): 1963 AD: The

Brilliant History in the Atabeg State. (Investigated by: Abdel Qader Ahmed Taliat): (Cairo: House of Modern Books).

Ibn al-Atheer: Abu al-Hasan Izz al-Din Ali (T.: 630 AH): 1997 AD: al-Kamil fi al-Tarikh. (Investigated by: Omar Abd al-Salam al-Tadmari): (Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi).

Ibn Al-Jazari: Ahmed bin Yahya bin Fadl (died: 749 AH): 1988 AD: Published in the Ten Readings. (Investigated by: Muhammad Husayn Shams al-Din): (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya).

Ibn al-Wardi: Omar bin Muzaffar bin Omar al-Kindi (died: 749 AH): 1996 AD: The History of Ibn al-Wardi. (Beirut - Lebanon: Scientific Books House).

Ibn Badran: Abdul Qadir bin Ahmed bin Mustafa (died: 1346 AH): 1985 AD: Manadamat al-Atlal and Masamarat al-Khayal. (Investigated by: Zuhair Al-Shawish): (Beirut: The Islamic Office).

Ibn Hajar al-Asqalani: Abu al-Fadl Shihab al-Din (T.: 852 AH): The pearls hidden in the notables of the eighth century. (Hyderabad: Ottoman Encyclopedia).

Ibn Katheer: Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Qurashi Al-Basri (died: 747 AH): 1997 AD: The Beginning and the End (Investigated by: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki): (Dr. M: Dar Al-Hajar).

Ibn Khaldun: Abd al-Rahman bin Khaldun al-Hadrami (died: 808 AH): 1971 AD: The History of Ibn Khaldun. (Beirut: Al-Alamy Foundation for Publications).

Ibn Khalkan: Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmed bin Muhammad (T.: 681 AH): 1994 AD: The deaths of notables and the news of the sons of time. (Investigated by: Ihsan Abbas): (I 1: Beirut: Dar Sader).

Ibn Qazi: Shahba Badr al-Din (died: 874 AH): 1971 AD: Al-Kawakib Al-Duriya fi Al-Sira Al-Nouri. (Investigation: Mahmoud Zayed): (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Jadeed).

Ibn Taghri Bardi: Youssef Abu Al-Mahasin (died: 874 AH): Dr. T.: The shining stars in the kings of Egypt and Cairo. (Cairo: Ministry of Culture and National Guidance).

Ibn Wasil: Jamal al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Salim (T.: 697 AH): 1957 AD: Mufarrej al-Kurub in the news of Bani Ayyub. (Investigated by: Jamal

Al-Shayal): (Cairo: Al-Amiriya Press).
Kurd Ali: Muhammad Ahmad D. T.: Islam and Arab Civilization:
(Dr.: Hendawy Foundation).
Kurd Ali: Muhammad Ahmad: 1983 AD: Plans of the Levant:
(Damascus: Al-Nouri Library).
Kurd Ali: Muhammad Ahmad: 2006 AD: The History of Jerusalem in the
Mamluk Era: (Amman: Dar Al-Bidaa).
Mu›nis: Hussein: 1955 AD: Noureddine Mahmoud, the biography of Mujahid Sadiq. (Cairo: The Arab Company for Printing).
The General Presidency of the Departments of Scholarly Research, Ifta, Call and Guidance: Islamic Research Journal: a periodical magazine issued by the
General Presidency of the Departments of Scholarly Research, Ifta, Advocacy and Guidance: